

الْفَقَارُ وَوَقْتُهَا

العلامة شبلي النعماني

تَقْرِيب

بجحة التأليف والترجمة دار السلام

د. سید عبد الحمید ابراہیم

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



دار السلام

للنشر والتوزيع

الرياض - المملكة العربية السعودية





مقدمة الناشر

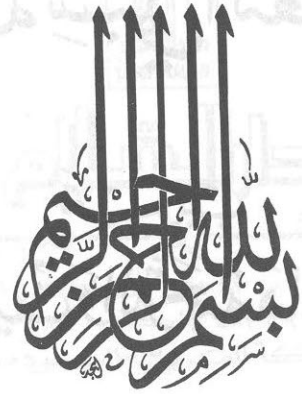
الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، والحمد لله الذي فرق بين الحق والباطل بإسلام الفاروق عمر ابن الخطاب، والحمد لله الذي خصّنا بمزيد فضله، ومنّ علينا بتابع إحسانه، وهياً لنا العمل في خدمة كتابه ونشر السنة، فله الحمد والشكر أن اختارنا لهذا العمل المبارك، ويسر لنا أسبابه، فنجدد الحمد والشكر طمعاً في المزيد، عملاً بقول العزيز الحميد: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُومُكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ونشهد أن لا إله إلا الله الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له صاحبة ولا ولد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بخير الرسالات في خير الأمم. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ [يس: ١٢] وقال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده» أخرجه مسلم.

ونحن القائمين في مكتبة دار السلام بالرياض يسعدنا أن نقدم اليوم للقارئ الكريم تحفة نادرة ودررة ثمينة غالية من تراثنا الإسلامي العزيز بعد مرور قرن من الزمان من طباعته بالأردية وقد نشر هذا الكتاب أيضاً بالفارسية والإنجليزية.

لماذا هذا الكتاب ؟

سؤال قد يدور في أذهان بعض الأخوة: لماذا يترجم هذا الكتاب إلى العربية؟ ونجيب بحق وصدق بأن هذا الكتاب من أفضل ما كتب في سيرة الخليفة الراشد أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه. والكتاب بحمد الله لقي قبولاً وإحساناً وانتشاراً واسعاً باللغات الثلاث المشار إليها، فلم نجد بدءاً من ترجمته إلى العربية لكي نتحف القارئ العربي بهذا الكتاب الطيب المبارك الفريد في نوعه.



ونحن إذ نقدمه في ثوبه القشيب وحلته الزاهية ليكون لنا الشرف في أننا أول من يكشف الستار عن هذا الكنز في سيرة الفاروق، ويدفع بهذه الذخيرة إلى عالم النور باللغة العربية خدمة لديننا الحنيف.

وهذا الكتاب هو حلقة من حلقات عمل هذه المؤسسة المباركة إن شاء الله - مكتبة دار السلام - التي أخذت على عاتقها نشر علوم القرآن والسنة، وأداءً للأمانة التي حملنا الله إياها أن نبلي العلم في مشارق الأرض ومغاربها، ونحن والحمد لله في سبيل نشر العلم باللغات المختلفة، فها نحن قد ترجمنا باللغات الأردية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية وغيرها، وكذلك ترجمنا من الأردية إلى العربية هذا الكتاب الذي بين أيديكم ومن قبله كتاب «رحمة للعالمين» في سيرة سيد المرسلين ﷺ.

ونحن بهذه المناسبة نزجي آيات الشناء والشكر للأستاذ الدكتور/ سمير عبدالحميد إبراهيم الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض الذي تفضل مشكوراً بقراءة الكتاب ومراجعته والتقديم له، ونشكر الأخوة المراجعين العاملين بلجنة البحث والإعداد العلمي بمكتبة دار السلام، ولا يخفى على القارئ الكريم ما لعمر الفاروق في النفوس من هيبة وتعظيم وإجلال وتكريم، ولعل في هذا الكتاب يجد القارئ الكريم مطلبه في أن يقف على ملامح من حياة الفاروق تنير له حياته، وتأخذ بناصيته إلى طريق الهدى والنور، وتأخذ بزمامه إلى درب السعادة، وتهديه إلى أقوم سبيل.

قال عبدالله بن مسعود: مازلنا أعزّة منذ أسلم عمر. أخرجه البخاري.

ونحن نقول: أين لنا بعمر، لكي نستشعر بهذه العزة التي عاشها ابن مسعود؟! نسأل الله عز وجل أن يلحقنا به غير مبدلين ولا مغيرين، وصلّ اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك الأمين.

عبدالمالك مجاهد محمد يونس

دار السلام للنشر والتوزيع

شعبان ١٤١٩هـ الموافق ديسمبر ١٩٩٨م

مقدمة

بقلم

د. سمير عبدالحميد إبراهيم

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

- ١ -

ولد محمد شبلي الملقب بالنعمان في قرية بندول التابعة لأعظم كره في الهند في ذي القعدة عام ١٢٧٤هـ/ مايو ١٨٥٧م، وسماه والداه محمد شبلي نسبة للشيخ أبي بكر شبلي المتوفى سنة ٣٢٤هـ من بلدة شبيلية بمنطقة تركستان، وغلبت النسبة حتى صارت جزءاً من الاسم، وأضاف شبلي فيما بعد لقب النعماني الذي لقبه به أستاذه الشيخ فاروق جرياكوتي.

درس شبلي اللغة العربية والفارسية بالإضافة إلى الأردية، وسافر إلى الحج وهو في التاسعة عشرة من عمره، وكتب عن سفره هذا، وعبر عن حبه الشديد للعرب والعربية.

وإذا كان شبلي قد ولد عام ثورة الهند ضد الإنجليز، فقد توفي عام اندلاع الحرب العالمية الأولى، ومن المعروف أنه بعد فشل الثورة تحمّل المسلمون وحدهم نتائج هذا الفشل، فقام الإنجليز بالانتقام الشرس من المسلمين دون غيرهم، وعمدوا إلى إذلالهم، وحاولوا القضاء على الثقافة الإسلامية، والمدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية، وقد اعترف نهرو بذلك صراحة حين قال: «بعد سنة ١٨٥٧م كانت اليد القوية للبريطانيين أشد وطأة على المسلمين منها على الهندوس»... ووسط هذه الظروف القاسية، بدأ بعض قادة المسلمين العمل قدر استطاعتهم؛ لما فيه خير أبناء وطنهم وإخوانهم في الدين... وهكذا ظهرت المدارس العربية لتكون - كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوي - معاملاً للحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية،

وهكذا ظهرت مدرسة ديو بند ومن بعدها حركة ندوة العلماء، وغيرها بالإضافة إلى حركة عليكره.

ارتبط شبلي النعماني رسمياً بحركة عليكره التي أسسها سيد أحمد خان، وكان ارتباطه هذا سنة ١٣٠١ هـ/ ١٨٨٣ م حين اختاره سيد أحمد خان أستاذاً للغة العربية والفارسية، وهنا وجد شبلي فرصة طيبة لقراءة كل ما يطبع في مصر وغيرها من البلدان العربية من صحف ومجلات وكتب حديثة، وكَوّن مكتبة رائعة ضمت في معظمها كتب التاريخ بالإضافة إلى إفادته من مكتبة سيد أحمد خان الخاصة، وإفادته من اتصاله بالمستشرق توماس أرنولد الذي تعلم منه أصول البحث، وقد أتاحت له شخصيته أن ينظر إلى هذه الأصول، فيأخذ منها ما يناسبه بل ويطوعها لما يريد.

من المعروف أن سيد أحمد خان حاول توحيد صفوف المسلمين في شبه القارة الهندية، وتعديل موقفهم تجاه الإنجليز، بحثهم على ضرورة تعلم اللغة الإنجليزية والاستفادة من العلوم العصرية الحديثة، والواقع أن دعوته أسفرت عن تخفيف حدة الاضطهاد البريطاني للمسلمين، غير أن أخطاءه فيما بعد فيما يتعلق بالعقيدة أضرت بدعوته. لم يحاول سيد أحمد خان إخضاع النظام التعليمي الغربي لطبيعة المجتمع الإسلامي الهندي، ولم يفكر في سبكه سبكاً جديداً إسلامياً هندياً، ولم يفصله عن الحضارة الغربية وروحها المادية، ووصل به الأمر إلى أنه اشترط أن يكون العميد إنجليزياً وأستاذان على الأقل من الإنجليز، ومن هنا لم يستطع شبلي النعماني أن يجس نفسه داخل دائرة نظريات سيد أحمد خان، فقد كان شبلي إنساناً عاطفياً، حماسياً، وكان أيضاً شاعراً، وكان عالماً معتداً بنفسه، وكان قلبه يموج بعواطف متنوعة، بينما ظل عقله مسكناً للفلسفة والمنطق، وهكذا أوجد اجتماع الضدين داخل شخصيته صراعاً نفسياً رافقه طوال حياته.

رأى شبلي النعماني أن المدارس والكتاتيب المنتشرة في الهند تحتاج إلى

إصلاح، في وقت كان العلماء لا يهتمون إلا بالكتب الدراسية وشروحاتها وحواشيها، ولم تكن لديهم رغبة أو شوق للاطلاع على الكتب الجديدة والاستفادة من كتب العلوم والفنون والبحث عن المخطوطات والكتب النادرة، ومن هنا رأى شبلي في حركة سيد أحمد خان مطمحاً، ورأى فيها تحقيقاً لأهدافه، ووصل إلى عليكره. إلا أنها لم تحقق له حلمه، ولكنه رأى فيها مشعل التعريف بالأفكار الأدبية والأبحاث العلمية، وأكثر من هذا الإفادة التي حققها من خلال صلته ورفقته للبروفيسير أرنولد المستشرق الإنجليزي، الذي أفاد شبلي كثيراً في شرح أصول البحث والتحقيق، واستفاد هو بدوره من شبلي في تعلم اللغة العربية، وشعر شبلي بضرورة تعلم اللغة الإنجليزية وضرورة إعداد الناس وتهيئتهم لتعلمها.

كانت هذه أمور تُحسب لحركة سيد أحمد خان، حركة عليكره، إلا أن هناك مواطن ضعف في هذه الحركة، رصدتها العلامة شبلي النعماني عن قرب وبالتدريج، ومع مرور الوقت ظهرت هذه المواطن أمام شبلي فكتب لأحد رفاقه: «بعد أن جئت هنا نضجت جميع أفكارى، عرفت أن الجماعة المثقفة ثقافة إنجليزية جماعة مهملة تماماً، لا تهتم أبداً بالدين، وأن ما يقال عن سعة الفكر والحرية الحقيقية وعلو الهمة وحماسها للتطور، كل هذا مجرد شعارات لا أكثر، وكل ما تراه هناك مجرد عرض للقمصان و «البنطلونات»، وقد أثبت لي الشباب من بلدي من الحاصلين على درجة الليسانس أنهم ضعاف تماماً في الأمور الدينية لا حول ولا قوة إلا بالله... فهؤلاء المساكين لا يمكن أن يفهموا حتى حركة دوران الأرض، وسيد أحمد خان يقول: «إن اللغة الإنجليزية لا تغير شيئاً مما في أدمغتهم» ويتضح من هذه الشكوى أن الخطة التي كانت في ذهن شبلي من أجل وضع برنامج للتعليم الجديد لمسلمي شبه القارة الهندية بدت غير مكتملة في عليكره نظراً لبعض الصعوبات غير الواضحة، ولهذا نراه يعود من عليكره دون أن تتحقق آماله التي عقدها على

عمر رضي الله عنه

اسمه ونسبه وبلوغه سن الرشد وتربيته

سلسلة نسبه هي: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن زراع بن عدي بن كعب بن لؤي بن فهر بن مالك.

أهل الجزيرة العربية عموماً من أولاد عدنان أو قحطان وتصل سلسلة عدنان إلى إسماعيل عليه السلام، وكان فهر بن مالك الذي ينحدر من الجيل الحادي عشر لعدنان صاحب سلطة كبيرة، وهو من اشتهر من أولاده بلقب قريش، وقد نال عشرة أشخاص من سلالة قريش مكانة عالية لما لهم من كفاءة عظيمة، وانتسب إليهم عشر قبائل ذائعة الصيت أي: هاشم، وأمّية، ونوفل، وعبد الدار، وأسد وتميم، ومخزوم، وعدي وحمج، وسمح، فكان عمر رضي الله عنه من أولاد عدي، وكان مرة الأخ الثاني لعدي من أجداد رسول الله ﷺ، ومن هذه الناحية فإن سلسلة نسب عمر رضي الله عنه تتصل بسلسلة نسب النبي ﷺ عند الجد الثامن، ولما كانت قريش من القبائل المجاورة للكعبة، لذا كانت تتمتع بالجاه والجلال الدنيوي بالإضافة إلى وجودها تحت مظلة العظمة الدينية، وقد تنوعت معاملاتهم نظراً لعلاقاتهم الواسعة مع الناس واتخذت أشكالاً مختلفة ومستقلة عن بعضها فقاموا بحراسة الكعبة، ورعاية الحجاج، والسفارة، واختيار شيوخ القبائل والفصل في المنازعات ومجلس الشورى وغيرها كثير، وقد كان عدي الجد الأكبر لعمر رضي الله عنه يتولى الإشراف على أعمال السفارة من بين ما ذكرنا من أعمال، أي: إنه كان يرسل كسفير إلى القبيلة التي تقيم معها قريش علاقة ما لأمر ما^(١)، كما كان يعين وسيطاً إذا ما حدث نزاع أو شقاق، وكان من

(١) جميع هذه التفاصيل في العقد الفريد، باب فضائل العرب.

عادة العرب أنه إذا ادعى أحد زعماء القبائل المتساوين في المقام أفضليته على الآخر أختير للفصل بينهما وسيط عارف بالأمور محترم، فيتولى كل منهما عرض أدلته وحججه التي تدعم موقفه، وأحياناً ما كانت هذه المنازعات تطول فتستمر المعركة لشهور وكان من يعينون للفصل بين المتنازعين على درجة كبيرة من الفصاحة وقوة البيان بالإضافة إلى قدرتهم على فهم الأمور، وهكذا استمر منصب السفارة، ومنصب الحكم في المنازعات المشار إليها من نصيب قبيلة عدي جيلاً من بعد جيل.

جد عمر رضي الله عنه :

قام نفيل بن عبد العزى جد عمر رضي الله عنه - مثله مثل أسلافه - بأداء هذه الخدمات بكفاءة عالية ولهذا كانت قضايا كبار الناس تُحال إليه للبت فيها، فحين اختلف عبد المطلب جد رسول الله ﷺ وحرب بن أمية على الإمارة، رضي الاثنان بأن يكون نفيل حكماً بينهما، فحكم نفيل لعبد المطلب وساعتها خاطب حرباً قائلاً :

«أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة وأوسم وسامة، وأعظم منك هامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صلة وإني لأقول هذا وإنك لبعيد الغضب، رفيع الصيت في العرب، جلد النذيرة تحبك العشيرة».

أولاد عم عمر رضي الله عنه :

كان لنفيل ولدان: عمرو، والخطاب، كان عمرو رجلاً عادياً، أما ولده زيد، حفيد نفيل وابن عم عمر فكان إنساناً له شأن، كان من بين الناس العظماء الذين تركوا باجتهادهم عبادة الأصنام قبل بعثة رسول الله ﷺ، وصار من الموحدين، ومن كانوا على هذا الدرب مع زيد^(١) قس بن ساعدة وورقة بن نوفل.

وكان زيد يرفض علانية عبادة الأصنام وتقاليده الجاهلية، وكان يرغب الناس إلى الدين الإبراهيمي ومن هنا عاداه جميع الناس، وعلى رأسهم

(١) أسد الغابة كتاب الأوائل ومعارف ابن قتيبة.

الخطاب والد عمر الذي كان أشدهم عداوة له، فضايقه الخطاب حتى اضطره إلى الخروج من مكة، ولا تزال أشعار زيد موجودة حتى اليوم وهي تدل على اجتهاده ونقاء ضميره يقول:

أرئباً واحداً أم ألف ربٍّ أدينُ إذا تقسّمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير

الخطاب والد عمر :

كان الخطاب والد عمر من وجوه قريش^(١)، استمرت العداوة بين قبيلتي عدي وبني عبد شمس زمناً ولما كانت قبيلة بني عبد شمس أكبر، لهذا كانت الغلبة لها على الدوام مما دفع قبيلة عدي بأكملها وفيها الخطاب أيضاً إلى العيش في ظل قبيلة بني سهم، وهددهم الأعداء بالقتال فقال الخطاب:

أبو عدنى أبو عمرو ودوني رجالاً لا ينهّنها الوعيد
رجال من بني سهم بن عمرو إلى أيّاتهم يأوي الطريد

وهذان البيتان من قصيدة تضم ثمانية أبيات نقلها العلامة الأزرقى بتمامها في «تاريخ مكة» وكانت أسرة عدي كلها تقطن عند الصفا في مكة، ولكن حين ارتبطوا بقبيلة بني سهم، باعوههم بيوتهم أيضاً، إلا أن بعض بيوت الخطاب ظلت ملكه، ومنها بيت ورثه عمر رضي الله عنه ويقع بين الصفا والمروة، هدمه عمر رضي الله عنه أيام خلافته، وجعل منه ساحة ينزل بها الحجاج لكن بعض «الدكاكين» المتصلة بهذا البيت ظلت لفترة في يد أسرة عمر رضي الله عنه^(٢).

تزوج الخطاب عدة مرات من أسر عالية النسب فكانت أم عمر رضي الله عنه حنّمة ابنة هشام بن المغيرة، وكانت مكانته عالية لدرجة أنه كان

(١) كتاب المعارف لابن قتيبة.

(٢) تاريخ مكة للأزرقى ذكر رباع بني عدي بن كعب.

المستول عن تنظيم الجيش إذا ما خرجت قريش للقتال، ولهذا لقب بصاحب الأعنة، وخالد رضي الله عنه كان حفيده، وكان هشام ولد المغيرة وجد عمر لأمه من كبار الناس.

ولادة عمر :

ولد عمر رضي الله عنه - طبقاً للروايات المشهورة - قبل الهجرة بأربعين سنة، وظروف ولادته وحالات طفولته غير معروفة تماماً، وقد نقل الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» رواية على لسان عمرو بن العاص: «بينما أنا جالس في اجتماع مع بعض الأحباب فإذا بالضجيج قد ارتفع، فعلمت أن طفلاً ولد في بيت الخطاب».

ويمكن من هذا القياس أن يفهم أن احتفالاً غير عادي أقيم بمناسبة مولد عمر رضي الله عنه، والمعلومات المتعلقة بفترة بلوغه قليلة جداً، وكيف تتوفر مثل هذه المعلومات، فمن كان يدري آنذاك أن هذا الشاب سيصبح فيما بعد «الفاروق الأعظم» ومع هذا فقد وصلتنا نف من أحواله بالبحث والتنقيب، أرى من المناسب ذكرها للقارىء.

سن الرشد :

عندما بلغ عمر رضي الله عنه سن الرشد، اختار له أبوه «رعي الإبل»، ورغم أن هذه المهنة لم تكن تعتبر مهنة معيبة في جزيرة العرب بل كانت مهنة قومية أو رمزاً قومياً، لكن الخطاب كان يقسو عليه دون هوادة فيأمره برعي الإبل طول اليوم، وعندما يصيبه التعب ويرغب في الراحة كان يعاقبه. كان المرعى الذي كان يعمل فيه عمر هذا العمل الشاق يدعى ضجنان بالقرب من مكة، وعلى بعد عشرة أميال من القديد. مر عليه عمر رضي الله عنه مرة زمان خلافته، فأخذته العبرة واغرورقت عيناه بالدموع، وقال: «الله أكبر باللزمان الذي مضى، لقد كنت أرى الإبل في مدرعة من لبدة الصوف، وعندما كنت أجلس من التعب كان أبي يضربني، وقد أمسيت اليوم وليس فوقني حاكم سوى